الملتزم ، الادب الشعبي ، فالقصة تتحول الى سيرة شعبية من خلال البطل الكاريكاتوري أبي النحس . سيرة تخضع للنقد ، والحساب العسير، لا للتهويل والتهويش ، ولا لليأس والتثبيط .

٥ ــ الصدق : وهو هنا ناتج عن المعاناة الحقيقية ، والمشاركة الفعلية في الاحداث ، والجرأة في قول الحقائق رغم حراب الاحتلال . والبراعة في سكب المرارة بقالب السخريةالضاحكة البالية . وهو نابع ايضا من الاخلاص للمحلية ، كما ذكرنا من قبل .

٦ ــ التفاؤل : والتفاؤل هنا ناتج عن الفهم الواعي لديالكتيك الواقع . فأبو النحس يمثل الجيل المنهزم ، المنخور ، المنهار من شدة غبائه ، وحمقه السياسي ، وجبنه القومي : وهي الصورة المشوهة للواقع تسير في موازاتها ــ وبحركة جدلية ــ صورة مضيئة ، بل تنبثق من خلالها . وهي ، هنا ، متمثلة في حكاية السمكة الذهبية ، والابن الذي سمي ولاء ليكون اسما على مسمى ، فاذا به يقف في الموقع المناقض لموقع الاب . واذا بالتحاقه مع المقاومة يكون اصعب على التصديق من الموت على الاحياء . واذا بباقية الطنطورية تلتحق بابنها هي الاخرى . واذا بسعيد ، ابن « يعاد » يصبح هو الاخر مناضلا ، واذا « بيعاد » الثانية تتمنى زوال ابي النحس ، وبقايا جيله ، لكي تشرق الشمس على كامل تراب الوطن .

وعلى هذا الاساس يدرك الدارس مدى موضوعية الاحساس بالتفاؤل لدى اميل حبيبي ، ويدرك المدى الواسع للافق السياسي الذي يمارس اميل حبيبي العمل الفني من خلاله .

زبدة القول ان الطابع الخاص لرواية اميل حبيبي يكمن في اصالتها وفرادة بنائها ، وصدق مشاعر كاتبها ، وقوة مغزاها السياسي والجدلي. وذلك يجعله نموذجا فيما في الرواية العربية عامة ، بل لا يكاد يرقى الى مستواها اي عمل روائي كتب في القضية الفلسطينية . وهي ــ في هذا المجال ــ تكاد تكون رواية القضية الفلسطينية الجديرة بكل احترام واكبار واجلال : انها ــ أولا واخيرا ــ معجزة روائية ، لا رواية وحسب .

وحسبنا ذلك ، للتدليل على المدى التطوري الذي قطعه اميل حبيبي من السداسية الى الوقائع في مجال الامساك بالبنية الحقيقية للرواية العربية الاصيلة . وهو في ذلك انما يؤكد حقيقة ما نوهنا به وهو أن الوقائع حسمت فترة المراوحة بين فن القصة القصيرة وفن الرواية ، لصالح الاخير . وهو ــ في الوقت نفسه ــ يضع حدا للحنين الفني الذي ظل يداعب خيالات الكتاب لتشكيل صنعة روائية عربية صميمة ، تنفلت من عقابيل الماضي ، وتسلم من الخضوع للجديد المستورد .

وبهذا يكون اميل حبيبي قد اضاف الى جهود التطوير الروائي جهدا محمودا لا على صعيد الرواية الفلسطينية فقط ، بل على صعيد الرواية العربية كاملة .

---

١ ــ ص ٥ من التقديم لطبعة دار العودة ١٩٦٩.

٢ ــ المرجع السابق ص ٧ .

٣ ــ المرجع السابق ص ٩ .

٤ ــ غسان كنفاني : عن الرجال والبنادق ــ دار الاداب ــ ١٩٦٩ .

٥ ــ المؤلف نفسه : دار العودة ١٩٧٠ .

٦ ــ راجع : أحمد محمد عطية : الاداب ع ٨ آب ١٩٦٨ ص ٨ .

٧ ــ Forster, Aspects of the Novel, Edward Arnold and Co. London 1947

٨ ــ James, H.: The Art of Fiction and Other Essays, Oxford, 1948

٩ ــ Liddel, R.: A Treatise on the Novel, London, 1947

١٠ ــ Lubbock: The Craft of Fiction, N.Y., 1947

١١ ــ طلبا للاستزادة راجع : القصة السيكولوجية لليون ايدل : ترجمة الدكتور محمود الشمرة .

١٢ ــ راجع الفصل الثاني والثالث من كتابه السابق ذكره .

١٣ ــ راجع ما كتبناه عن الرواية في صحيفة الدستور الاردنية بتاريخ ١٩٧٤/٩/٣٠ .

١٤ ــ راجع الفصل السادس من كتابه السابق ذكره .